

ذنب طاهر !! مشهور عبدالعزيز الصحفي



عندما أنتهي من كتابة أي مقال ، أجدّه يبدأ غامضاً وينتهي حالماً ، تارة أقول بأن المقال يمثلني ، وتارة أقول بأني لا أعرفني ، هل أنا أنا ؟!

أظن بل أجزم بأن من يتحكم بخاصية الكتابة لدى الانسان هو العقل الباطن ، وها أنا عندما بدأت تمكّن داء الحنين إلى الماضي (النوستاليجا) مني ، ورحلنا إلى الماضي سوياً ، طفنا شتى البلدان ومختلف الحضارات ، لم يستوقفني منها سوى الفقر الذي كان يعيشه أبؤنا ، والذي قال عنه عمر رضي الله عنه (لو كان الفقر رجلاً لقتلته) ، إلا إنهم كانوا عزيزي الأنفس قانعين بالقدر متفائلين بالمطر ، بحثت فلم أجد لذلك الفقر العفيف تعريفاً يرويني أو عن التفكير فيه يثيني ، ففكرت أن أعرفه بنفسني :

” الفقر ” هو تنهيدة الرضا ، والوجه الأبيض للعنا .

” الفقر ” هو لجوء إلى المنفى ، وفرح بلا مرسى .

أحببت الفقر بسببهم ففكرت أن أعيشه ، لعلي أحكي بريقهم ، وقبل أن أخوض التجربة أردت أن أقنع نفسي فتمعننت في حال الأغنياء (الطبقة المخملية) وتحسست أحوالهم ، فوجدت أن معظمهم يعزفون الفرغ نشازاً بلا مقام ، وأن أتقنوا عزف الفرغ فإن من يشاركهم العزف ثلة من المتملقين الأشقياء المعروفين بسوءهم ، يا ترى أي فرغ هذا ؟!

بل إنهم محسودون حتى في عزائمهم لأن نصيبهم زاد بالتالي ابتلاءهم زاد ، وإن أتبلي أحدهم بعرض سريري لايرجى شفاؤه ، يؤمن لنفسه أو لمن يحب أجهزة تنعش قلبه فقط عشرات السنين ، طوال هذه الفترة تنسمر عينا ذلك الغني أمام تلك التموجات الخضراء ، يسامر الشقاء .

بل إن الأغنياء لا يحلمون لأنهم يملكون كل شيء من أي شيء ، ” والحياة من دون حلم ، صلاة من غير وضوء ” ،

يا ترى أي حياة هذه !

يقول أحمد شوقي : (الغنى ظل زائل) .

أيها الأغنياء أنتم كالورود ولكن للأسف ورود فقدت عبيرها بلا رائحة ، السعادة بالنسبة لكم كومة قش تود النفاذ من ثقب إبرة ، الغنى بين قوسين هو (ذنب طاهر) .

فلنتخلص جميعنا من هذا الذنب الطاهر ، ولنمتطي ذلك الفرس العربي الأصيل (الفقر) ، ذو الجبهة العريضة والغرة البيضاء (الصدق) ، ومنخاران واسعان (الصبر) يساعده على الركض بلا تعب ، وصدر ضخم وجسم متناسق (مسرح بالقناعة) ، طريقه للنصر محتوم .

للفقر فوائد لم ولن نسمع بمثلها أبداً ، وهي :

الفقر يصنع منا ملحدين بكل عادات البذخ المرفوضة دينياً ، لذلك نحن أول الملحدين الصادقين .

يستوجب علينا التلذذ بالفقر فهو شغف وشرف لا يناله الجميع ، فمشاغلنا المحدودة منحتنا الوقت الكافي لصلة أرحامنا بالتالي تزداد أعمارنا .

بل إن الفقير يموت مطمئناً ، فهو لا يملك أموالاً تشتت أبنائه بعد رحيله .

إن كنت فقيراً تستطيع أن تحلم ، بالتالي هنالك فجر قادم ، وابتهالات باسمة .

في الفقر لا يوجد هدايا زائفة ومقارنات ، في الفقر تطوق من نحب بطلاسم عشق صادقة لا يحلها سوى الموت .

الفقر جنة المرأة ، لأن الزوج ليست لديه القدرة على الزواج من غيرها ، بالتالي ضمنت جنتي الدنيا والآخرة إن أحسنت لهما .

يا ترى ، هل هناك من يشكك في روعة وأناقة الفقير؟!

فليحكم أمرنا للدين ، نحن الفقراء نسلك منهج الأنبياء ونشابههم في هذا الجانب فنحن إذا متنا لا نورث شيئاً ،

وهم كذلك : قال عليه الصلاة والسلام ((إنا معاشر الأنبياء لا نورث)) .

بل إن الفقير يسبق الغني في دخول الجنة بخمسمائة عام إن تساوت أعمالهم ، فالغني يؤخذ منه ماله كله ، ويسأل عنه كله ،

أما الفقير ليس لديه مال يسأل عنه ، قال الرسول عليه السلام (يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وهو خمسمائة عام) ..
يا ترى ، هل أحببتم الفقير؟!

إذا فلنصبح فقراء لننال غنى الأنفس مع من سبقونا، ولكن لابد من تنفيذ ما قاله عمر المختار :
(كن عزيزاً وإياك أن تنحني مهما كان الأمر ضرورياً ، فربما لا تأتيك الفرصة كي ترفع رأسك مرة أخرى) .
أخيراً : إن أصبحنا فقراء حقا ، فهنيئاً لأرجوحة الفرحة بنا .

مشهور عبدالعزيز الصحفي